



۱۴۴۲ھ - ۲۰۲۱م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحور الثالث: الأخلاقي والتربوي

المأوى

أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم

دراسة دلالية تحليلية

د. زهور كاظم زعيميان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

على الرغم من اتفاق المسلمين على عصمة النبي محمد ﷺ وطهارة أصحاب الكساء إلا أن بعضهم يصرّ على أن ينسب الكفر لأبي طالب عليه السلام وهم يستندون إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) ويعزون سبب نزولها إلى حب رسول الله ﷺ لأبي طالب عليه السلام وعدم إسلامه قبل موته.

بينما اتفقت الكتب التفسيرية بأن المأوى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٢) هو أبو طالب عليه السلام (ت ٣ قبل الهجرة، سنة ١٠ للبعثة).

يتناول البحث هاتين الآيتين بالتفصيل مركزاً على أسباب النزول، وبمنزلت.

(١) القصص: ٥٦.

(٢) الضحى: ٦.

٤ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

وقد جاء البحث بمقدمة فيها نبذة عن سيرة أبي طالب عليه السلام ومبحثين الأول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، والمبحث الثاني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وتناولها من حيث الزمن واللغة، ثم خلاصة للنتائج التي توصل إليها البحث، وقفل البحث بقائمة المصادر.

وأبو طالب عليه السلام: «عمُّ النبي صلى الله عليه وآله وناصره، ولد قبل النبي صلى الله عليه وآله بخمس وثلاثين سنة، ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي صلى الله عليه وآله إليه فكفله وأحسن تربيته، وسافر به إلى الشام وهو شاب، ولما بُعثَ صلى الله عليه وآله قام بنصرته وذَبَّ عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح»^(١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن تربية النبي محمد صلى الله عليه وآله ربانية، فقد نقل الرازي (ت ٦٠٤هـ) في تفسيره لكلمة (المأوى) في القرآن الكريم قول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: «حين كنت صبياً ضعيفاً ما تركناك بل ربناك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفاً على شرفات العرش وقلنا لك: لولاك ما خلقنا الأفلاك»^(٢).

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث بإظهار حقيقة إسلام أبي طالب عليه السلام والد الإمام

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١: ٣١٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٣١: ٢١٥.

المأوى، أبو طالب ﷺ في القرآن الكريم..... ٥

علي ﷺ، وتفنيد الروايات التي تشير إلى وفاته كافرا.

مشكلة البحث

قوله إن أبا طالب ﷺ مات مشركا، ويستدلون بقوله تعالى من سورة القصص: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ بأنها نزلت بحق أبي طالب ﷺ.

المفاتيح البحثية

أبو طالب، المأوى.

المبحث الأول

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(١).

يركز هذا المبحث على كلمة (آوى)، وورودها في القرآن الكريم، ودلالاتها بالمعاجم وتفسير القرآن الكريم.

المأوى في اللغة والتفسير

آويت فلانا إذا انزلته بك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾^(٢)، ونقل ابن منظور حديثاً: (أن النبي ﷺ كان يصلي حتى كنت آوي إليه) أي أرق له وأرشي، أما حديث (إني آويت على نفسي أن أذكر من ذكرني، فهو أي جعلته وعدا على نفسي)^(٣).

والمأوى: المكان والحماية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^{(٤)(٥)}،

(١) الضحى: ٦.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) لسان العرب، مادة (اوى) ١: ٢٠٢.

(٤) النازعات: ٤١.

(٥) المصدر والصفحة نفسها.

٨ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي
وقيل في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾^(١) أي نزلوا واحتموا فيه
واتخذوه مأوى لهم، ومعنى الجمع بين اثنين وتأوت الطير: أي تجمعت، ومعنى
الاطمئنان، فأوى فلانا، أي: أنزله عنده مطمئناً^(٢)، وكل هذه المعاني تجتمع في
إيواء أبي طالب عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وآله «فأواك؟ أي جعل لك مَنْ تأوي إليه وهو أبو
طالب عليه السلام»^(٣).

وذكر الفعل في مواضع عدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(٤) ف(آوى إليه) أي: ضمّه إليه وأنزله^(٥) فقد
أجلس النبي يوسف عليه السلام أخوته كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده
فبكى فقال يوسف: بقي أخوكم وحيدا (فأواه إليه) أي فأجلسه معه على مائدته
ثم أنزل كل اثنين منهم بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات يوسف يضمه
ويشم رائحته^(٦).

ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾^(٧) فأوى إليه

(١) الكهف: ١٠.

(٢) القاموس المحيط: مادة (أوى).

(٣) مفاتيح الغيب: ٣١ : ٢١٥.

(٤) يوسف: ٦٩.

(٥) جامع البيان، للطبري ١٣ : ٢٤٢.

(٦) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ٥ : ٣٢٥.

(٧) يوسف: ٩٩.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ٩

أبواه: أي ضمهما إليه وعانقهما^(١).

فمعنى (آوى) في الموضعين تشير إلى الجمع والحنان والحب والصلة.

وقد أجمعت التفاسير بأن المأوى الذي آوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو بيت أبي طالب عليه السلام قال تعالى معدداً على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمه عنده، ومذكره آلاءه قبله: ألم يجدك يا محمد ربك يتيماً فأوى فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً تنزله وقد كفله عمه أبو طالب عليه السلام في الثامنة من عمره وبقي يحوطه وينصره يرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره حتى توفاه الله تعالى قبل الهجرة بقليل^(٢).

ونقل القرطبي جواب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ) لمن سألته: "لم أؤتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق"^(٣).

كما أشار إلى قول العرب: «درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل، فمجاز الآية: ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك، فأواك الله بأصحاب يحفظونك

(١) البحر المحيط ٥ : ٣٤١.

(٢) جامع البيان: الطبري ٤ : ٤٨٨ والكشاف، للزخشري ٦ : ٣٩٣. وانظر: الجامع لأحكام القرآن: مسألة ألم يجدك يتيماً فأوى ٢٠ : ٨٥. البحر المحيط ٨ : ٤٨٥، تفسير البغوي ٨ : ٤٥٦. تفسير النسفي: مسألة (ألم يجدك يتيماً فأوى) تفسير السعدي ٨ : ١٩٧٧ تفسير

ابن كثير ٨ : ٤٢٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠ : ٨٥.

١٠ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي
ويحوطنك»^(١).

وعدّ الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) مطلع هذه الآية الكريمة شروع في تعداد ما
أفاضه الله سبحانه وتعالى من النعم^(٢).

وفي الآية من سورة الضحى مدح ومّنة على النبي صلى الله عليه وآله بأنه تعالى جعل له
مأوى يأوي إليه، فالمّنة لا تكون بأمر سيء، فإيواؤه صلى الله عليه وآله لا بد أن تكون في مكان
مشرف ليقول له تعالى (ألم يحدك يتيماً فأوى).

ويصفه الرازي بأنه نعمة من الله قائلاً في تفسيره: «وكان عبد المطلب يوصي
أبا طالب عليه السلام به لأن عبد الله وأبا طالب عليه السلام كانا من أم واحدة، فكان أبو
طالب عليه السلام هو الذي يكفل رسول الله بعد جده إلى أن بعثه الله للنبوّة، فقام
بنصرته مدة مديدة، ثم توفي أبو طالب عليه السلام بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله
يتم البتة فأذكره الله تعالى هذه النعمة»^(٣).

وكيف لا يكون إيواء أبي طالب عليه السلام محمد صلى الله عليه وآله نعمة ويقول له تعالى في
نفس السورة: ﴿وَأَمَّا يَنْعِمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤).

وذكر المجلسي رحمته الله أن الأمر بهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى جاء بعد

(١) تفسير القرطبي ٢٠ : ٨٥.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ١ : ١٦٣٢.

(٣) المصدر السابق ٣١ : ٢١٥.

(٤) الضحى: ١١.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ١١

وفاة أبي طالب عليه السلام: «وعند وفاة أبي طالب عليه السلام نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: ذهب ناصرك من الدنيا، فهاجر»^(١).

ونقل الرازي كلام أبي طالب عليه السلام: «ولقد كنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يعجبني وذلك عند مضي الليل وكنا لا نسمي على الطعام والشراب ولا نحمده بعده، وكان يقول في أول الطعام: بسم الله الأحد. فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله، فتعجبت منه، ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكاً ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون. واعلم أن العجائب المروية في حقه من حديث بحيرى الراهب وغيره مشهورة»^(٢).

أما عن استشهاده بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾^(٣) بأنها في معرض ذم فرعون فما كان مذموماً من فرعون كيف يحسن من الله؟^(٤) فقد ذكر الرازي بأن الأمر مع فرعون إن امتنان فرعون محبط، «لأن الغرض فيما بالك لا تخدمني»^(٥) فرعون يمن على موسى عليه السلام أنه رباه وليداً وهو في مجال الفضل من فرعون على النبي موسى عليه السلام فكذلك يمن الله تعالى على النبي محمد صلى الله عليه وآله بأن آواه في بيت أبي طالب عليه السلام.

(١) بحار الأنوار ١٤ : ١٩ .

(٢) مفاتيح الغيب ٣١ : ٢١٥ .

(٣) الشعراء: ١٨ .

(٤) مفاتيح الغيب ٣١ : ٢١٥ .

(٥) مفاتيح الغيب ٣١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

١٢..... مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

وهو ما نقله السيوطي (ت ٩١١هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) قال: «لما

نزلت (والضحى) على رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يَمَنْ عَلِي رُبِّي وَأَهْلُ أَنْ يَمَنْ رُبِّي**»^(١).

(١) جامع البيان، للطبري ١٩ : ٥٩٩. وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي ٨ :

المبحث الثاني

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

فقد ورد في كتب التفسير أن هذه الآية نزلت في أبي طالب عليه السلام بأنهم نقلوا حديثاً أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما أن هذه الآية الكريمة نزلت في أبي طالب عليه السلام لما امتنع عن الإسلام^(٢).

وأنكر الطبرسي ذلك عليهم وأظهر استغرابه من عدائهم لمن آوى رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرتهم لأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وقَاتِلَ سيد الشهداء عم النبي حمزة عليه السلام قائلاً: «قيل نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ في أبي طالب عليه السلام فإن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب إسلامه فنزلت هذه الآية وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا

(١) القصص: ٥٦.

(٢) فتح القدير ٤ : ٢٠٨، والدر المشور للسيوطي: ٦، ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قوله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء رقم الحديث:

١٤ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ ^(١) فلم يسلم أبو طالب عليه السلام وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره ^(٢).

وأبدى سبب انكاره بالحجة المنطقية بقوله: «وفي هذا نظر كما ترى فإن النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز أن يخالفه في أوامره ونواهيه وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبي طالب عليه السلام وأراد كفره وأراد النبي ﷺ إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتي الرسول ﷺ والمرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم أنك يا محمد تريد إيمانه ولا أريد إيمانه ولا أخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في إعانتك والذب عنك ومحبتك لك ونعمته عليك وتكره أنت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة وأنا أريد إيمانه وأخلق في قلبه الإيمان» ^(٣).

«ونحن نتبع ما نقل عن الثقل الأصغر بأن أهل البيت (صلوات الله عليهم) قد أجمعوا على أن أبا طالب عليه السلام مات مسلماً و تضافرت الروايات بذلك عنهم وأوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ وتوحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى يكشف فيها مَنْ كاشَفَ النبي ﷺ ويناضل عنه ويصحح نبوته» ^(٤). وعن أبي

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) مجمع البيان ٧ : ٣٢٤.

(٣) المصدر والصفحة نفسها.

(٤) مجمع البيان ٧ : ٣٢٤ - ٣٢٥.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ١٥

عبد الله وأبي جعفر: «إن أبا طالب عليه السلام كان مسلماً وعليه إجماع الإمامية، لا يختلفون فيه، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم»^(١).

وذكر الطبرسي المعنى الذي عليه الآية الكريمة فهو: «لما تقدّم ذكر الرسول والقرآن وأنه أنزل هدى للخلق بين سبحانه أنه ليس عليه الاهتداء وإنما عليه البلاغ والأداء، فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢). ثم قال سبحانه حاكياً عن الكفار: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾^(٣) أي: نستلب من أرضنا يعني أرض مكة والحرم»^(٤).

وأنكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) قول الزجاج بأجماع المسلمين على أنها نزلت في أبي طالب عليه السلام قائلاً: «والصواب أن يقال أجمع جلّ المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله»^(٥).

وفي تفسير الرازي قال: «هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب عليه السلام» ونقل قول أبي طالب عليه السلام: «يا معشر بني عبد مناف أطيعوا محمداً

(١) تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي (ت ٤٦٠هـ): تفسير سورة الضحى.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) القصص: ٥٧.

(٤) مجمع البيان للطبرسي ٧: ٣٢٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٣: ٢٧٤.

١٦ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

و صدقوه تفلحوا وترشدوا» وقوله: «يا أخي قد علمت أنك صادق»^(١).

الحديث

أما تفاصيل الحديث عن أبي هريرة فالآية نزلت بعد سنوات من وفاة أبي طالب عليه السلام ويضعونها مع رواية وفاة أبي طالب عليه السلام.

والحديث للبخاري من فتح الباري عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب عليه السلام آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) وأنزل الله في أبي طالب عليه السلام فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^{(٣)(٤)}. وفي

(١) مفاتيح الغيب ٢٥ : ٣.

(٢) التوبة: ١١٣.

(٣) القصص: ٥٦.

(٤) ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قوله إنك لا تهدي من أحببت ولكن

الله يهدي من يشاء رقم الحديث: (٤٤٩٤) ٨ : ٣٦٣.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ١٧

آخر الحديث يكمل كلامه نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهناك أخطاء في السياق التاريخي لهذه التفاسير وسوف نذكر بعضاً منها، وهؤلاء المفسرين ميل لتحريف المعنى الحقيقي للآية الكريمة؛ يظهر ذلك من خلال مخالفة وقت نزول الآية الكريمة مع وفاة أبي طالب عليه السلام، فهم يفسرون القرآن الكريم على وفق أهوائهم، وسوف نرى عند التحليل التاريخي مع تاريخ وفاة أبي طالب عليه السلام نتيقن من مخالفتهم مع الحقيقة، وهدفهم أن يجعلوا صحيحاً ما هو باطل، ولكن لا يرضى عن هذه التفاسير أي عقل وفكر منطقي مجرد من العواطف.

لذلك وجدنا عدداً مهماً من التناقضات والمستحيلات في تلك التفاسير، مع وجود المصادر المختلفة التي ساهمت في وضع هذا التأويل الباطل.

تحليل الحديث موضوعياً وتاريخياً

نزول الآية

جاء في تفسير القرطبي عن سورة القصص بأن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(١) من سورة القصص بشارة لنبيه محمد صلّى الله عليه وآله برده إلى مكة قاهراً أعداءه وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم وقال مقاتل: خرج النبي صلّى الله عليه وآله من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة

(١) القصص: ٨٥.

١٨ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

من غير طريق مخافة الطلب فلما نزل على الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق لها فقال له جبريل: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أي: إلى مكة وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالجحفة ليست مكية ولا مدنية»^(١).

وفي قوله دليل على أن السورة نزلت في المدينة وإلا كيف يبشره بالعودة إلى مكة وهو فيها؟.

«لقد ظل جبريل ينزل بالوحي القرآني على محمد الرسول فترة امتدت أكثر من عشرين سنة من حياته وقد ابتداءً بالآيات الأولى من السورة ٩٦ ثم انقطع لمدة ثلاث سنوات واستأنف نزوله طيلة عشرين سنة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٦٣٢ ميلادية أي عشر سنوات قبل الهجرة وعشر آخر بعدها»^(٢).

رواة الحديث والزمن

أولاً: ابن عباس: أول الرواة ابن عباس^(٣) «وقد ولد في شعب أبي طالب عليه السلام قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو ستين»^(٤)، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وآله حبر الأمة وترجمان القرآن، صحب النبي محمدًا صلى الله عليه وآله ثلاثين شهرا وقد توفي النبي صلى الله عليه وآله

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣ : ٢٩٥.

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم موريس يوكاي: ١٥٨.

(٣) الدر المنثور، للسيوطي ٥ : ١٣٣.

(٤) الغدير: الشيخ أحمد الأميني النجفي: ٢٩٦.

المأوى، أبو طالب ﷺ في القرآن الكريم..... ١٩

وابن عباس لا يتجاوز أربعة عشر سنة، وقيل كان عمره تسع سنوات^(١).

فإن كان عمره ٩ سنوات عند وفاة النبي ﷺ فهذا يعني أنه ولد بعد الهجرة وإن كان عمره ١٤ عاما فهذا يعني أن عمره كان ٣ سنوات عند الهجرة، وفي كل الأحوال فولادة ابن عباس قريبة لتاريخ وفاة أبي طالب ﷺ وقد توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات؛ لذا لا يمكن أن يكون شاهدا وحاضرا وفاته أبي طالب ﷺ لينقل الرواية!.

والآية نزلت في مكة أو في طريق الهجرة والرواية عن ابن عباس بلا واسطة فهو شاهد عليها مع أن التدقيق بالتاريخ يدل على أنه كان طفلا صغيرا.

ثانياً: أبو هريرة وهو الراوي الثاني^(٢) في الرواية والمعروف أن أبا هريرة أسلم عام فتح خيبر سنة ٧ هجرية فكيف يروي رواية حدثت قبل إسلامه ببضع سنين.

إيمان أبي طالب ﷺ وإسلامه

لقد فرق القرآن الكريم بين الإيمان والإسلام فالإيمان يعني التصديق القلبي

(١) وفيات الأعيان ٣ : ٦٢، والبداية والنهاية، ابن كثير: ٨ (سنة ١٥ للهجرة وفيها توفي عبد الله بن عباس).

(٢) وقد ذكر في معظم التفاسير منها جامع البيان، للطبري ١٩ : ٥٩٩، وروح المعاني، ج ٢، ص ٨٤ ذيل الآية محل البحث.

٢٠ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله أما الإسلام فهو إعلان الإيمان بالشهادتين، وقد ينقاد شخص لأحكام الإسلام وفي قلبه زيغ وتكذيب وهو منافق.

وعدم إعلان الإيمان بعدم نطق الشهادتين قد يكون لعناد وقد يكون لسبب فقد يكون لخوف من القتل أو الأذى، أما أبو طالب عليه السلام فقد نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله ومدحه بالقول والشعر، وشبهه بالنبي موسى عليه السلام كما سيتبين لنا، فهل يشبه من لا يؤمن بنبوته محمد بنبي آخر؟!!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلتهم، وحين خلق البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم أبا وخيرهم نفساً)^(١).

وأبو طالب عليه السلام من قبيلة رسول الله صلى الله عليه وآله وجعله الله في بيت أبي طالب عليه السلام فكيف يصف بيتاً بأنه خير البيوت ورب البيت كافر؟!!

أما عن قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٢) فقد جاء في دلائل النبوة «ما زال النبي صلى الله عليه وآله يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه»^(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي)^(٤).

(١) دلائل النبوة ١ : ٥٨ .

(٢) الشعراء: ٢١٩ .

(٣) دلائل النبوة ١ : ٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ٦٦ .

وفاة أبي طالب ﷺ

لما قيل لرسول الله ﷺ: «إن أبا طالب ﷺ قد مات عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل عليه فمسح جبينه الايمن اربع مرات، وجبينه الايسر ثلاث مرات، ثم قال: يا عمّ ربيت صغيرا، وكفلت يتيما، ونصرت كبيرا، فجزاك الله عني خيرا ومشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه، ويقول، وصلتك رحم وجزيت خيرا»^(١).

وقال ﷺ: (اجتمعت على هذه الامة في هذه الايام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا اشد جزعا يعني مصيبة (موت) خديجة وأبي طالب ﷺ (قال) وروي عنه أنه قال: إن الله عز وجل وعدني في أربعة، في أبي، وأمي، وعمي (أبي طالب) وأخ كان لي في الجاهلية)^(٢).

ومنزلة أبي طالب ﷺ من محمد ﷺ أنهما من جد واحد وجدة واحدة، وأنه كان يذكر الله في أول الطعام وبعده، موحدا الله تعالى، وأنه صادق لم يكذب، بعيدا عن الجاهلية لا يضحك ولا يقف مع من يصغره سناً بقولة: «ثم هلك جده بعد أمه بستين ورسول الله ابن ثمان سنين، وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب ﷺ به لأن عبد الله وأبا طالب ﷺ كانا من أم واحدة، فكان أبو طالب ﷺ هو الذي يكفل رسول الله بعد جده إلى أن بعثه الله للنبوّة، فقام بنصرته مدة مديدة، ثم توفي أبو

(١) أبو طالب ﷺ حامي الرسول وناصره: العسكري نجم الدين جعفر ١ : ١١٨.

(٢) المصدر والصفحة نفسها.

٢٢..... مؤتمر أبي طالب ﷺ العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

طالب ﷺ بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله يتم البتة فأذكره الله تعالى هذه النعمة ...، ولقد كنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني وذلك عند مضي الليل وكنا لا نسمي على الطعام والشراب ولا نحمده بعده، وكان يقول في أول الطعام: بسم الله الأحد. فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله، فتعجبت منه، ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون»^(١).

وأخرج السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه^(٢) الحديث المتقدم بروايته عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقال: «أخرج ابن الجوزي بإسناده عن علي عليه السلام مرفوعا انه (قال) هبط جبرئيل ﷺ علي فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك وحجر كفلك، أما الصلب فعبد الله وأما البطن فآمنة، فأما الحجر فعمه يعني أبا طالب ﷺ وفاطمة بنت أسد»^(٣).

فكيف تكون تلك الصفات لكافر؟

وروى الثعالبي في تفسيره إن أبا طالب ﷺ قال لعلي ﷺ: «أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله ورسوله، وصدقته فيما جاء به، وصليت معه لله تعالى، فقال له: أما محمداً ﷺ لا يدعو إلا إلى خير فألزمه»^(٤).

(١) مفاتيح الغيب ٣١ : ٢١٥.

(٢) التعظيم والمنة: ٢٥.

(٣) أبو طالب ﷺ حامي الرسول وناصره ﷺ : العسكري نجم الدين جعفر ١ : ٢٠٥.

(٤) الطرائف لابن طاووس: ٣٤-٣٥.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ٢٣

وفي شرح نهج البلاغة: «روي عن علي عليه السلام أنه قال: قال لي أبي: يا بني الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل»^(١).

وأنصف الالوسي الحنفي في تفسيره روح المعاني فقال: «ومسألة إسلامه خلافية، وحكاية إجماع المسلمين أو المفسرين على أن الآية نزلت فيه لا تصح فقد ذهب الشيعة وغير واحد من مفسريهم إلى إسلامه وادعوا إجماع أئمة أهل البيت على ذلك وأن أكثر قصائده تشهد له بذلك وكأن من يدعي إجماع المسلمين لا يعتد بخلاف الشيعة ولا يعول على رواياتهم، ثم إنه على القول بعدم إسلامه لا ينبغي سبه والتكلم فيه بفضول الكلام فإن ذلك مما يتأذى به العلويون بل لا يبعد أن يكون مما يتأذى به النبي عليه الصلاة والسلام الذي نطقت الآية بناء على هذه الروايات بحبه إياه، والاحتياط لا يخفى على ذي فهم»^(٢) فقد أنصف في بداية الكلام لكنه غفل عن زمن نزول الآية فقال الآية تدل على حب رسول الله له.

ويثبت كلامه إجماع أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس والكذب من الرجس لا محالة بأنه أسلم.

عن محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: (مات أبو طالب بن عبد المطلب عليه السلام مسلماً مؤمناً)^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة ١٤ : ٧٥.

(٢) تفسير روح المعاني ٢٠ : ٩٧.

(٣) أبو طالب عليه السلام حامي الرسول وناصره ص: العسكري نجم الدين جعفر ١ : ١٩١.

حديث إخراج الماء لأبي طالب عليه السلام

ومما يدل على منزلة أبي طالب عليه السلام عند الله تعالى أنه أخرج له الماء عند عطشه: «عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب عليه السلام قال: كنت بذئ المجاز مع ابن أخي يعني النبي ﷺ فادركني العطش فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع، قال: يا عم أعطشت؟ قلت نعم، فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم، قال: فشربت»^(١).

فكيف يخرج الله تعالى الماء إكراماً لكافر؟!

وفي حديث آخر فيه يذكر فرح أبي بكر لإسلام أبي طالب عليه السلام فكيف يفرح لإسلامه وفي موضع آخر ينكرون إسلامه؟ قال أبو بكر للنبي ﷺ: «لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب عليه السلام مني بإسلام أبي»^(٢).

شعر أبي طالب عليه السلام

قال الطبرسي رحمه الله عما كتب أبو طالب عليه السلام من الشعر: «إن قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغير في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد وأكثر من هذا ولا شك في أنه لم يختتر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحاً لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما أُلجأوه إليه بعد موته»^(٣).

(١) الخصائص الكبرى، للسيوطي (باب نبع الماء بإعجازه لعمه أبي طالب عليه السلام)، ط حيدر آباد ١: ١٢٤.

(٢) الرياض النضرة: محب الدين الطبري الشافعي (ت ٦٩٤هـ) ١: ٤٥، والإصابة ٤:

١١٦، وبحار الأنوار ٣٥: ١١٤.

(٣) مجمع البيان ٧: ٣٢٥.

المأوى، أبو طالب ﷺ في القرآن الكريم..... ٢٥

مدح أبو طالب ﷺ النبي محمد ﷺ فقد نقل محمد بن محمد المختار الشنقيطي أبياتا انتخبت منها قوله:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطاً في أول الكتب؟
وأن عليه في العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالحب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب^(١).

فالشعر تكتبه يد لكن المشاعر هي التي توجهه مشاعر نابعة من القلب، فكيف يصف أبو طالب ﷺ محمداً بأنه نبي كالنبي موسى ﷺ وهو لا يؤمن بنبوته؟!

وقال ابن حجر: «رأيت لعلّي بن حمزة البصري جزءا فيه شعر أبي طالب ﷺ، وزعم أنه كان مسلما ومات على الإسلام، وأن الحشوية تزعم أنه كافرا، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه، ثم أنشد له:

ودعوتني وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ألم تعلموا أننا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد مودة ولا خير ممن خصه الله بالحب»^(٢).

(١) شرح كتاب الصوم من صحيح البخاري.

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١ : ٣١٨.

٢٦..... مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

وقد خطب أبو طالب عليه السلام خديجة عليها السلام وعندما تمت الموافقة رفع أبو طالب عليه السلام يده قائلاً: «أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات»^(١).

فهو يبدأ كلامه بحمد الله مما يدل على انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام.

(١) بحار الأنوار: المجلسي ٣٥ : ١٥٨.

الخاتمة

محاولة متواضعة لإثبات إسلام أبي طالب عليه السلام وهو ما اتفقت عليه كتب الشيعة، وبالولوج في كتب التفاسير وجدنا تناقضا واضحا في أقوالهم أما أهم ما توصل إليه البحث فهو:

١- اتفاق المفسرين بأن الله تعالى منّ على رسول الله صلى الله عليه وآله في سورة الضحى بأن عدد نعمه عليه ومنها إيوائه عند أبي طالب عليه السلام بعد يتمه من الأبوين.

٢- إن ما قيل بأن ما نزل في سورة القصص من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بأنها نزلت بحق أبي طالب عليه السلام عند وفاته يتعارض مع تاريخ نزول السورة فأبو طالب عليه السلام توفي قبل الهجرة في مكة المكرمة بينما نزلت السورة في طريق الهجرة وفي المدينة على بعض الأقوال.

٣- إن ما قيل بهذا الشأن يثير الاستغراب فنحن نجد في كتبهم مدحا لأبي سفيان وعده من الصحابة مع أن أهل البيت صرحوا بعدائه لمحمد صلى الله عليه وآله بل إنهم

٢٨..... مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

ذكروا إسلام وحشي قاتل سيد الشهداء حمزة عليه السلام ويجعلون من إيمانه سببا لنزول آية كريمة في القرآن الكريم كرامة لوحشي في الوقت الذي يصرون بسبب بغضهم لعلي عليه السلام بنسب الكفر لمن آوى محمد وحامى عنه وناصره.

وفي آخر المطاف نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتنا فقد كان الجهد قربة إلى الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر

- ١-بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) دار احياء الكتب الإسلامية.
- ٢-البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. زكريا عبد الحميد النوتي ود. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ٢٠١٠م.
- ٣-البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد من البحر وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط: أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- ٤- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: الشيخ محمود شكري الألوسي البغدادي (ت ١٣٤٢هـ) شرح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية،

٣٠..... مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

بيروت- لبنان، ١٩٧١م.

٥- تفسير ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير البصري الشافعي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٦- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ١٩٧٧م.

٧- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، ط ٣، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٣١١هـ.

٨- تفسير النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط ١، دار الكلم الطيب ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٩- تفسير فرات الكوفي: أبي القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي، من أعلام الغيبة الصغرى تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة التاريخ العربي ط ١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٠- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: الكاتب الفرنسي موريس بوكاي، ترجمة مفتي الجمهورية اللبنانية: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط ٣، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط ١، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

المأوى، أبو طالب عليه السلام في القرآن الكريم..... ٣١

١٢-الجامع لأحكام القرآن: القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
(ت ٦٧١هـ)، دار إحياء الفكر.

١٣-الخصائص الكبرى: للسيوطي (ت ٩١١هـ)، ط حيدر آباد.

١٤-الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين
(ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ - ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٥-دلائل النبوة: للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق:
د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ.

١٦-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن
عبدالله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية،
ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ. بيروت.

١٧-الرياض النضرة في مناقب العشرة: الطبري، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن
محمد، محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠١٠م.

١٨-شرح نهج البلاغة: لابن أبي حديد، ط ٢.

١٩-الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: للسيد رضي الدين أبي القاسم علي بن
موسى ابن طاووس الحلي (ت ٦٦٤هـ) ابن طاووس، ط ١، ١٣٩٩هـ.

٢٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري: العسقلاني - أحمد بن علي بن حجر
(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، مراجعة:

قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣٢..... مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

٢١-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني،

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،

تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، لجنة البحث العلمي بدار الوفاء -

دمشق، بيروت ط ١ - ١٤١٤ هـ.

٢٢-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، ط ١ مكتبة

العبيكان ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٣-لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور

الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٢٤-مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن المحسن

الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ط ٢، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ -

٢٠٠٩م.

٢٥-معالم التنزيل: للإمام محي الدين لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

الشافعي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية -

سليمان مسلم الحرش، ط دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٦-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،

تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

فهرس المحتويات

المقدمة	٣
أهمية البحث	٤
مشكلة البحث	٥
المفاتيح البحثية	٥
المبحث الأول	٧
المأوى في اللغة والتفاسير	٧
المبحث الثاني	١٣
الحديث	١٦
تحليل الحديث موضوعيا وتاريخيا	١٧
نزول الآية	١٧

٣٤ مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي / المحور الاخلاقي والتربوي

رواة الحديث والزمن ١٨

إيمان أبي طالب عليه السلام واسلامه ١٩

وفاة أبي طالب عليه السلام ٢١

حديث إخراج الماء لأبي طالب عليه السلام ٢٤

شعر أبي طالب عليه السلام ٢٤

الخاتمة ٢٧

المصادر ٢٩

فهرس المحتويات ٣٣

 ALmajmaa1435@gmail.com

   | مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي